الفصل الثالث

الدولة الأموية في الأندلس

أولاً- عصر الإمارة الأموية في الأندلس (١٣٨-٣١٦هـ/٧٥٥-٩٢٩م)

يبدأ هذا العصر الثالث بالأندلس منذ وصول عبد الرحمن بن معاوية (عبد الرحمن الداخل) وتأسيس إمارة أموية مستقلة عن الخلافة العباسية في المشرق، واستمرت هذه الإمارة حتى إعلان الخلافة في زمن عبد الرحمن الناصر سنة (٣١٦هـ/٩٢٩م).

تداول حُكم هذه الإمارة وراثة سبعة من الأمراء الأمويين أشهرهم: عبد الرحمن الداخل والأمير هشام والحكم الأول وعبد الرحمن الأوسط (الثاني) ومحمد وأولاده.

كيف وصل عبد الرحمن بن معاوية إلى الأندلس؟ وكيف انتصر على والي الأندلس يوسف الفهري والصُميل بن حاتم؟ ولماذا سُمي عبد الرحمن بالداخل وبصقر قُريش[1]؟

أخذ العباسيون عند قيام دولتهم سنة (١٣٢هـ/٧٥٠م) يتبعون أمراء بني أمية ويبطشون بهم، فاختفى من استطاع الفرار منهم عن العيون، مما جعل العباسيين يعلنون أماناً كاذباً لهم خدعوهم بعد أن دبروا لهم مذبحة نهر أبي فطرس (مدينة الرملة) بفلسطين التي راح ضحيتها عدد كبير منهم، فهربت القلة الباقية التي نجت من الموت وتفرقت في بلدان الدولة العربية الإسلامية لاسيما البعيدة منها تنشد الأمان، وكان من ضمن الفارين أمير شاب لم يتجاوز عمره العشرين من عمره هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام عبد الملك الذي أسعفه الحظ بالهروب بعد أن قتل أخوته الثلاثة (ابان، يحيى وسليمان) وعاين هو الموت أكثر من مرة، فوصل إلى فلسطين حيث لحق به مولاه بدر وسالم أبي شجاع غلام شقيقته وكان يحملان إليه نفقة شيئاً من المال، وانطلق متخفياً عن أعين العباسيين وجواسيسهم إلى أن وصل إلى مصر ثم سار إلى برقه ثم رحل إلى إفريقيه (ليبيا وتونس) التي كان يتولاها الوالي عبد الرحمن بن حبيب الفهري، الذي خاف على إمارة إفريقيه والمغرب من أمراء بني أمية الفارين إليها من المشرق، فصار يقتل كل من يدخل إليها منهم، والتجأ عبد الرحمن إلى أخواله من قبيلة نفزه من البربر التي كانت تقيم على الأرجح قريباً من مدينة سبته بالمغرب الأقصى حيث أخذت أنظاره تتجه نحو الأندلس التي كانت الأحوال فيها مضطربة بسبب الفتن والحروب الأهلية بين العرب والبربر.

---

(١) انظر تفصيلاً: إبراهيم ياس خضير الدوري، عبد الرحمن الداخل في الأندلس، بغداد ١٩٨٢؛ علي أدهم، صقر قريش، بيروت ١٩٧٤.

ورأى عبد الرحمن أن يبادر بالاتصال بزعماء موالي بني أمية في الأندلس، فبعث مولاه بدراً رسولاً إليهم والذي عبر إلى الأندلس يحمل رسائل سيده فلقي منهم القبول والعمل على إنجاح هذه الدعوة، وحينما أطمأن عبد الرحمن لنجاح دعوته عبر إلى الأندلس حيث لقب بالداخل لأنه أول من دخل من بني أمية إلى الأندلس ولقب بصقر قُريش[1] بفضل ما أمتلكه من قوة ودهاء سياسي وقام بتأسيس الإمارة بالاعتماد على جهوده الذاتية ولم يُلقب بلقب خليفة بل سُمي ابن الخلائف كذلك أبو الملوك.

وحينما علم الوالي يوسف الفهري وصاحبه الصُميل بن حاتم بذلك حاولا تسوية الأمر مع عبد الرحمن الذي بايعه أنصاره من موالي بني أمية بالإمارة، إلا أن المحاولات قد فشلت وبالتالي لم يبقى إلا الحرب بين الطرفين، فأخذ كل منهما يُحشد قواه فأخذت مجموع من قبائل تفد إلى عبد الرحمن الداخل من أنحاء الأندلس فتقدم ونزل باشبيلية سنة (١٣٨هـ/٧٥٦م) في حين بدأت بطون مضر والقيسية تتوافد على الصُميل ويوسف وكان قد أنتقلا إلى قرطبة وبحلول فصل الربيع التقى الجيشان على ضفاف نهر الوادي الكبير بالقرب من قرطبة ثم أشتبك الجيشان في معركة في موضع يُسمى (المصارة) في صباح يوم عيد الضحى ١٠ ذي الحجة سنة (١٣٨هـ/٧٥٦م) فأنتصر عبد الرحمن الداخل إنتصاراً باهراً أسرع على أثره ودخل قرطبة حيث نزل بقصر الإمارة ثم صلى بالناس وخطب على جند قرطبة، ويعد ذلك اليوم ميلاد الدولة الأموية في الأندلس، بل ميلاد عصر جديد في تاريخ الغرب الإسلامي كله (المغرب والأندلس)، أما يوسف الفهري فقد هرب إلى طليطلة، وأما الصُميل فمضى إلى جيان ليجمع جيشاً من القيسية يناوئ به الأمير عبد الرحمن الداخل وبعد ذلك أستأمن كل من الصُميل ويوسف من عبد الرحمن فأمنهما فنكثا عليه، وأنهى الأمر بحبس الصُميل وموته مخنوقاً في سجنه، أما يوسف الفهري فقد تشرد في نواحي الأندلس حتى قُتل في طليطلة.

أصبح عبد الرحمن بن معاوية الملقب بالداخل أميراً على الأندلس وكان رجلاً موهوباً جمع صفات كثيرة منها السيادة والحزم والسياسة والدهاء وبُعد الهمة وحسن التدبير رغم صغر سنه.

تشير بعض الروايات[2] إلى أن الأمير عبد الرحمن قد خطب لأبي جعفر المنصور العباسي لبضعة أشهر ثم قطع الخطبة للعباسيين وأعلن نفسه أميراً مستقلاً ثم جمع أنصاره من حوله وبعث لجلب أهله من بني أمية في المشرق ليأتوا عليه، وبفضل قدراته تمكن من السيطرة على الأوضاع

---

(١) المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٦٠، ج١، ص٢٣٩، ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٥٩.
(٢) مؤلف مجهول، فتح الأندلس، تحقيق لويس مولينا، مدريد ١٩٩٤، ص٩٤.

الداخلية بالقضاء على الثورات والتمردات وإحلال سلطة الإمارة بدل من السلطة القبلية كذلك ضبط الأمن بإنشاء جهاز الشرطة وكوّن جيشا مكونا من ١٠٠ ألف فارس من العرب والبربر والعبيد السود فضلاً عن حرسه الخاص.

ولاستكمال الصورة عن جهوده في تاسيس الدولة الأموية في الأندلس لابد لنا أن نشير بإيجاز إلى جهوده الأخرى، وأول ما يذكر في هذا المجال جهوده في دفع الحركة الحضارية في البلاد إلى الأمام، فقد عمل منذ البداية على إحياء ما انقرض من دولة بني أمية، فقد عمل على نقل الإدارة العربية الأموية في المشرق إلى إمارته بالأندلس، فدوّن الدواوين، وطبق النظام الحربي الأموي، وجند الأجناد، حيث بلغ جيشه النظامي أربعين ألفا من الموالي الذين اشتراهم من ساداتهم ثم من بربر العدوة المغربية الذين استقدمهم لهذا الغرض، بعدما لمسه من أن جند الأندلس كانت قد أفسدتهم العصبية القبلية، بينما يذكر ابن حيان في كتابه المقتبس[1] أن عدد جيشه بلغ مائة ألف فارس فضلاً عن الجند الذين كانوا ينضمون إليهم من الاقطاعات العسكرية عند الحاجة.

أ- الأخطار الداخلية:- حركات المعارضة للحُكم الأموي

قضى عبد الرحمن الداخل كل سنوات حكمه تقريباً في كفاح داخلي وصراع خارجي، فقلل من شأن الارستقراطية العربية باستخدام غير العرب واصطناع الموالي وقضى على الزعامة القبلية بالتخلص من تحدثه نفسه بالثورة أو التمرد وكان لا يتورع باستخدام الأسلوب الميكافيلي (الغاية تُبرر الوسيلة)، وحاول ما استطاع أن يؤمن حدود الدولة الإسلامية في الأندلس ضد الممالك الإسبانية في الشمال والإفرنج وكان يقود الجيوش بنفسه ومن أهم المؤامرات والتمردات التي حاولت الإطاحة بحكمه هي:

١- القضاء على ثورة الوالي السابق يوسف الفهري ومعاونه الصُميل بن حاتم سنة ١٤٢هـ.

٢- القضاء على ثورة هشام بن عروة الفهري أحد زعماء القيسية في طليطلة سنة ١٤٤هـ.

٣- تمرد سعيد اليحصبي الذي ظهر هذا سنة ١٤٩هـ وذلك انتقاماً لمقتل العلاء بن المغيث فانضمت إليه أعداداً كبيرة من أهل أشبيلية فتمكن الأمير عبد الرحمن من القضاء عليه.

٤- تعرض الأندلس في سنة ١٥٢هـ إلى فتنة خطيرة استمرت إلى سنة ١٦٠هـ كان زعيمها بربري من المغرب واسمه شُقيا بن عبد الواحد وأدعى أنه من سلالة الرسول محمد (ص) من ولد الحسن بن علي وأنه فاطمي وسمى نفسه (عبد الله بن محمد) وذاعت دعوته فأنضم إليه خلق كثير،

---

[1] لم ترد في القطع المحققة، انظر المقري، نفح ج٤، ص٣٦ ص٤٩، الدوري، المرجع السابق، ص٢٦٥، عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ص٦٨٧.